تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوى

قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة :

هذه قضية يعرضها علينا الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق ، أما موضوعها فيدور حول محور الأمانة العلمية كما يفهمها الجامعيون طلاباً وأساتذة ، وكما يجب أن يفهمها الرأى العام الفنى ممثلا فى طبقات المثقفين ممن يقرأون « الرسالة » ، وهذه هى المحكمة التى نود أن نعرض عليها أدوار القضية ، القضية التى يريد الدكتور الشيال من جهته أن يتقدم بها إلى ساحة القضاء مطالباً بحفظ حقوقه الأدبية والمادية ... وتترك الدكتور الشيال يروى فصول القصة ، وترجىء التعقيب حتى نهيىء بهذا الإرجاء فرصة الرد للدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد :

« فى إبريل سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى جامعة فاروق الأول برسالة عنوانها (تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر) أرخت فيها — ولأول مرة — لحركة النقل عن الغرب فى عهد الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على ، وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من الأساتذة : عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت الذين أجازوها لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ... ثم تقدمت بهذه الرسالة إلى مسابقة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ التى عقدها المجمع الملكى للغة العربية فنازت بالجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأت الرسالة وأقرت أحقيتها بالجائزة تتكون من الأساتذة : المرحوم أنطون الجميل باشا ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد الغمراوى بك ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

وفى صيف سنة ١٩٤٧ زارنى فى منزلى بالأسكندرية الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد ، وطلب منى أن أعيره رسالتى ليطلع عليها فبينت لحضرته أنى لا أملك إلا نسختى الأولى المخطوطة بيدى وقدمتها إليه بكل ترحاب ، فأخذها معه ، وأبقاها عنده أكثر من عشرة أيام قرأها كلها فى خلالها ، ثم أعادها إلى فلم يجدنى بالمنزل فسلمها لمن به وسمها بطاقة باسمه — لا زلت أحتفظ بها — قال فيها بالحرف الواحد :

« أهنئك على هذا المجهود العلمى الصادق ، وأرجو أن تتاح لك الفرصة لنشر هذه البحوث القيمة حتى يفيد منها المشتغلون بتاريخ مصر الحديث ، وأشكرك بإعطائى هذا البحث الرصين لقراءته والإفادة منه ، وأرجو أن أتمكن من زيارتكم فى فرصة قريبة أخرى لإبداء الشكر الخالص » .

وفى صيف سنة ١٩٤٨ ظهر كتاب جديد فى ٨٤٠ صفحة من تأليف الدكتور شكرى وزميلين له من المدرسين فى المدارس الثانوية ، وعنوان الكتاب : « بناء دولة — مصر محمد على » وقرأت فى الصحف أن الكتاب يتضمن ترجمة كاملة لكثير من تقارير الأوربيين عن حكومة محمد على ، أمثال بورنج وبوالكت وكامبل ... ولحاجتى الداعية لهذه التقارير أسرعت فاشتريت نسخة من الكتاب . وتصفحتها فإذا بها تتكون من قسمين : قسم مؤلف فى نحو ٢٠٠ صفحة ، وقسم يحتوى الترجمات السابق ذكرها فى ٦٠٠ صفحة ، وقلبت صفحات القسم المؤلف فإذا بى أجد فصلاً فى ٢٠ صفحة كبيرة عن « الترجمة والطبع والنشر فى عصر محمد على » ، وقرأت هذا الفصل فرأيت ويالهول ما رأيت ، رأيت الصديق والزميل الفاضل أستاذ التاريخ الحديث المساعد قد سطا على رسائلى سطواً تاماً فلخصها فى هذا الفصل تلخيصاً كاملاً !!

حتى المنهج — منهجى فى البحث — قد سطا عليه فقد التزمه عند التلخيص وتتبع أبوابه وفصوله باباً باباً وفصلاً فصلاً ، لم يحد عنه قيد أنملة : فهو قد بدأ بالكلام عن بواعث حركة الترجمة فى عصر محمد على ، وانتقل منها إلى الحديث عن المترجمين فقسمهم إلى مترجمين من السوريين ، ثم من خريجى المدارس والبعثات ، ثم من خريجى مدرسة الألسن ، ثم من الموظفين ... تماماً كما فعلت .

وترك هذا الفصل إلى الفصل الذى يليه فى رسالتى وموضوعه التحدث عن المحررين والمصححين ، فإذا فرغ منه انتقل إلى الحديث عن القواميس والمعاجم كما انتقلت أنا ، وترك هنا كله فتحدث كما تحدثت عن حركة الطباعة والنشر باعتبارها آخر مرحلة من مراحل حركة الترجمة ... حتى الملاحق — ملاحق الرسالة — لم يتركها لى ، فقد ألحقت بالرسالة مجموعة كبيرة من

الجداول أحصيت فيها بعد جهود شاقة الكتب التي ترجمت في عصر محمد علي، مع بيانات وافية عن مؤلفيها ومترجميها وأوصافها الخ، وقد قدمت لهذه الملاحق بالحديث عن المحاولات التي سبقتني في هذا الميدان، ورتبتها ترتيباً تاريخياً مع بيان نواحي القصور فيها لإيضاح قيمة الجديد في جداولي، وقد سطا الدكتور شكري على هذا أيضاً فأثبته تماماً كما أوردته في رسالتي!

ومن هنا ترى أن الدكتور شكري قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً، وإذا أنت قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك في وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفكار فقط، وإنما قد سطا على العبارات والألفاظ كذلك، فنحو ٨٠ ٪ من عباراته هي عباراتي بألفاظها وحروفها. ومع هذا كله لم يشر حضرته بحرف واحد — لا في الهامش ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة في نهاية الكتاب — إليّ أو إلى رسالتي، لا بشكر ولا بما يفيد رجوعه إليها واعتماده عليها وعدها اعتماداً كاملاً تاماً عند كتابة هذا الفصل ... وهكذا ترى كيف يقيم أساتذة الجامعة لواء الأمانة العلمية!!

سلسلة من الأخطاء: هذه رسالة علمية لم تطبع بعد، فالنقل عنها والرجوع إليها يستلزم أن يستأذن صاحبها أولا، والدكتور شكري لم يستأذني في هذا، مع أن التقاليد الجامعية في العالم كله تلزم الناس بهذا، فكل بحث يقدم إلى أي جامعة تودع نسخة منه في مكتبتها، ولكن هذه النسخة تظل عشرة سنوات كاملة — ما دامت لم تطبع — ولا يمكن أن تعار لإنسان كائناً من كان إلا بإذن صاحبها الخاص، وإذا اطلع عليها مطلع وأراد النقل عنها في مؤلف له سيطبعه فلا بد أن يستأذن صاحب البحث في هذا، بل إنني أعرف كتباً استعمل أصحابها صوراً — صوراً شمسية لا أفكاراً — موجودة في كتب لمؤلفين آخرين، فاستأذنوا أصحاب هذه الصور، ونصوا في كتبهم على هذا مع تقديم الشكر لأصحاب الصور!

أما الخطأ الثاني فأغرب، فالمعروف أن المؤلف إذا أفاد من جهود غيره نقل عنها فكرة أو جملة، أما أن يسطو على مؤلف بحاله فيلخصه تلخيصاً كاملاً، وينقل معظم عباراته بحروفها فأمر لم أره إلا في كتاب الزميل الدكتور شكري! — أما الخطأ الثالث فأغرب وأغرب، فالمستاء إذا استشهد المؤلف بأقوال غيره أن يضعها بين أقواس وأن يشير إلى المرجع في الهوامش، وأن يقدم الشكر لمن ينقل عنه وخاصة إذا كان مرجعه الوحيد في الموضوع الذي يكتب عنه، والزميل الفاضل الدكتور شكري أهمل الإشارة إلى بحثي إهمالاً تاماً — قد يدعي حضرته بعد هذا أنه نسي أو تناسى، أما كان يمكن أن يذكر نسيانه بالإشارة السريعة في آخر صفحة من الكتاب أو في المقدمة، وهي آخر شيء، قدمه إلى المطبعة، حتى هذا لم يفعله، ولكنه قال في مقدمة كتابه: «وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر في ذلك التاريخ (تاريخ محمد علي) لكشف ما خفي من حقائقه، وتفصيل ما أجمل من دقائقه في حدود الأمانة العلمية» — أجل، في حدود الأمانة العلمية كما يقول الدكتور شكري، واقرأ ما واضحك، وشر البليه ما يضحك!!

وأخيراً لعل الشك يساورك فيما أقول، ولكنني أعلن إليك أنني أحتكم في هذا الموضوع إلى حضرات الأساتذة الأجلاء الذين ناقشوا الرسالة في الجامعة، والذين رشحوها لنيل الجائزة في المجمع، فهم جميعاً قد قرأوها قراءة فهم واستيعاب، وأمامهم كتاب الدكتور شكري يقرأونه ويقارنون .. وإني على استعداد لأن أقدم نماذج من المقارنات، بين نصوص رسالتي الأصلية ونصوص الدكتور شكري الملخصة لتبين في وضوح صدق هذا الذي أقرره! وقد فكرت جدياً في رفع الأمر للقضاء محافظة على حقوق الأدبية والمادية، ولكنني رفقت أخيراً بسمعة الدكتور شكري العلمية، وآثرت أن أكتب إلى عميد كلية الآداب والدكتور شكري أستاذ من أساتذة الكلية، وغاية ما أرجو أن يطلب إليه الأستاذ العميد:

١ — أن ينشر تصريحاً موقعاً عليه منه في الأهرام ومجلة الرسالة ومجلة الكتاب ينص فيه صراحة أنه اعتمد — عند كتابة هذا الفصل من كتابه — على رسالتي اعتماداً كلياً، ويعتذر عن عدم الإشارة إلى ذلك في هوامش الكتاب ومراجعه.

٢ — أن يكتب لي كتاباً خاصاً يذكر فيه هذه الحقيقة ويعتذر عما فعل.

« دكتور جمال الدين الشيال »

هذه هي القضية كما يعرض أدوارها علينا الدكتور الشيال، ومن حقه علينا أن نعرضها بدورنا على محكمة الرأي العام النزيه، كما أن من حق الدكتور شكري علينا أيضاً ألا نتناوله بكلمة

واحدة فى مجال التعقيب على ما حدث ، حتى نسمع دفاعه ... وهذا هو الانصاف الذى تفرضه علينا « الأمانة القلمية » بالنسبة إلى الأستاذين الفاضلين !

هول الموسيقار الإيطالى الصغير فيروتشو بوركو :

طفل إيطالى لم يتخط الحادية عشرة من عمره ، ومع ذلك فهو يفهم النوتة الموسيقية كما وضعها كبار الأساتذة ، ويؤديها أنغاماً كأدق ما يكون الأداء ، وتبدى ذاكرته النادرة وذوقه الموهوب ألحان العباقرة من أمثال بتهوفن وموزار وشوبير وفردى وروسينى وتشايكوفسكى وبرامز وليست ... وهو بعد ذلك يقود فرقة موسيقية مكونة من ستين عازفاً من أشهر عازفى الموسيقى فى العالم . هذا الطفل النابغ هو فيروتشو بوركو الذى أذهل بنبوغه المبكر أقطاب الفن وهواته فى كل من إيطاليا وسويسرا وفرنسا وأمريكا ، والذى حل ضيفاً على مصر منذ أيام تصحبه فرقته الموسيقية الضخمة ليقيم فيها بضع حفلات موسيقية يترقبها الجمهور باهتمام بالغ ! .

ينحدر هذا الموهوب الصغير من صلب أبوين وهبا حياتهما للفن ونذرا له الإبن ؛ فأمه مغنية من مغنيات الأوبرا بذرت فى نفس وليدها بذور الموهبة الفنية عندما كانت تصحبه معها إلى المسارح وعمره سنتان ونصف ، وهناك أخذ الطفل يسحر الموسيقى التى استولت أنغامها على مشاعره وهزت كل ذرة فى كيانه ، ولمح المحيطون به بوادر النبوغ ممثلا فى أذنه الموسيقية وإحساسه المرهف ، فأشاروا على أمه المغنية وأبيه المثال أن يدفعا به إلى من يتعهده بالتوجيه والرعاية ، وفى ظل أستاذه درس الطفل أصول الفن الموسيقى حتى أصبح على مر الأيام أعجوبة يهرت الأنظار والأسماع هنا وهناك !

هذا هو الموسيقار الإيطالى الطفل فيروتشو بوركو الذى تنافس شهرته الآن شهرة الموسيقار الإيطالى الشيخ توسكانينى ... وإذا كان لنا من كلمة نعقب بها حول هذا الموسيقار الصغير فهى أنه يقتصر على عزف موسيقى غيره من عباقرة الفن الذين أشرنا إليهم فى بداية هذه الكلمة أى أنه لم يملك القدرة بعد على التأليف الموسيقى الذى يتمثل فى وضع نوتة من صنع موهبته الفنية ، ولكن ذلك لا ينقص من قيمته لأنه لا يزال فى بداية حياته الفنية التى تنتظرها الأيام وبترقبها المستقبل ، ثم إن توسكانينى الشيخ ذا الشهرة الدولية والمكانة الرفيعة لا يفترق عنه فى هذا المجال ، مجال قيادة الأوركسترا وعزف ألحان الغير ! ... وإذا كان بعض النقاد يشيدون بهذه العبقرية المبكرة فى حياة هذا الطفل الفنان ، فإذا يقولون فى سيد العباقرة موزار ، ذلك الفنان الذى وهب القدرة على التأليف الموسيقى وهو فى الرابعة من عمره ، حتى أن بعض ألحانه الخاصة التى تنسب إليه وهو فى تلك السن يعزفها الآن كثير من قادة الفرق الموسيقية وفى جملتهم بوركو وتوسكانينى؟! هنا يقام الميزان الحق للعبقرية المتفردة !!

بقية الرسائل فى صفية البربر :

أقول لصاحب الرسالة الأولى الأديب الفاضل ص . م . ت « عطبرة — سودان » إن الموضوع الذى عرضته على سأكتب عنه فى فرصة مناسبة . وأقول لصاحب الرسالة الثانية الأديب الفاضل عمر عيسى الساسرائى « بغداد — العراق » إن تعقيبك على ما رددت به عليك حول ما جاء بكتاب «على هامش السيرة» لا يغير شيئاً من الحقيقة التى أشرت إليها من قبل ، حين نفيت لك ما رميت به صاحب الكتاب من التناقض فى أقواله ، وإذا كنت قد قلت إن ورقة قد قص على نصطاس قصة أخرى فى ص (٥٢) فإنما كنت أعنى أنه قد أفضى إليه بمصدر القصة الأولى الواردة فى ص (٥١) أى أنه سرد له قصة أخرى هى قصة القصة ! وأقول لصاحب الرسالة الثالثة الأديب الفاضل م . س « قنا » إن الإقدام على الأمر الذى حدثتنى عنه خير من الإحجام وأقول لصاحب الرسالة الرابعة بعد شكره على كريم تقديره وهو الأديب الفاضل ابرهيم جوهر « قنا » إنه يؤسفنى ألا تكون « مذكرات إديسون » بين يدى حتى كان يمكننى أن أجيبه عن سؤاله . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الأديب الفاضل محمد العديسى « العديسات » إن مما يحول بينى وبين الكتابة عن الشاعر المصرى الذى أشار إليه هو أنه ليس بين يدى شىء من شعره . وأقول لصاحب الرسالة السادسة بعد شكره على حسن ظنه وهو الشاعر الفاضل محمود البكرى محمد « الكيان » إن رسالته محل عنايتى . كما أقول ذلك أيضاً لصاحب الرسالة السابعة وهو الشاعر الفاضل محمد مفتاح الفيتورى « الاسكندرية » ... ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص التحية .

أنور المعداوى